

التبيان في تفسير القرآن

(113) ولوترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (30) آيتان بلاخلاف. اخبر الله تعالى في هذه الآية عن الكفار الذين ذكرهم في الآية الاولى، وبين أنهم قالوا لما دعاهم النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الإيمان والاقرار بالبعث والنشور وخوفهم من العقاب في خلافه، وحذرهم عذاب الآخرة والحشر والحساب على سبيل الإنكار لقوله والتكذيب له " ما هي إلا حياتنا الدنيا " وعنوا أنه لا حياة لنا في الآخرة على ما ذكرت، وإنما هي هذه حياتنا التي حيينا بها في الدنيا وأنا لسنا بمبعوثين إلى الآخرة بعد الموت. ثم خاطب نبيه (صلى الله عليه وآله) فقال " ولو ترى إذ وقفوا على ربهم " يعني على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار في الآخرة والثواب الذي يفعله بالمؤمنين، وعرفوا صحة ما كان أخبرهم به من الحشر والحساب. وقال لهم ربهم عند مشاهدتهم ووقوفهم عليه " أليس هذا بالحق؟ قالوا بلى وربنا " مقررين بذلك مدعين له وان كانوا قبل ذلك في الدنيا ينكرونه، قال حينئذ " فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون " بذلك. ويحتمل أن يكون معنى " إذ وقفوا على ربهم " أنهم حبسوا ينتظر بهم ما يأمر كقول القائل: احبسه على أمره به. وقد ظن قوم من المشبهة أن قوله " إذ وقفوا على ربهم " أنهم يشاهدونه، وهذا فاسد، لأن المشاهدة لا تجوز إلا على الأجسام أو على ما هو حال في الأجسام، وقد ثبت حدوث ذلك أجمع، فلا يجوز أن يكون تعالى بصفة ما هو محدث. وقد بينا أن المراد بذلك: وقوفهم على عذاب ربهم وثوابه، وعلمهم بصدق ما أخبرهم به في دار الدنيا دون أن يكون المراد به رؤيته تعالى ومشاهدته، فبطل ما ظنوه، وأيضا فلا خلاف أن الكفار لا يرون الله، والآية مختصة بالكافرين فكيف يجوز أن يكون